الإمام الخميني الشخصية والمنهج

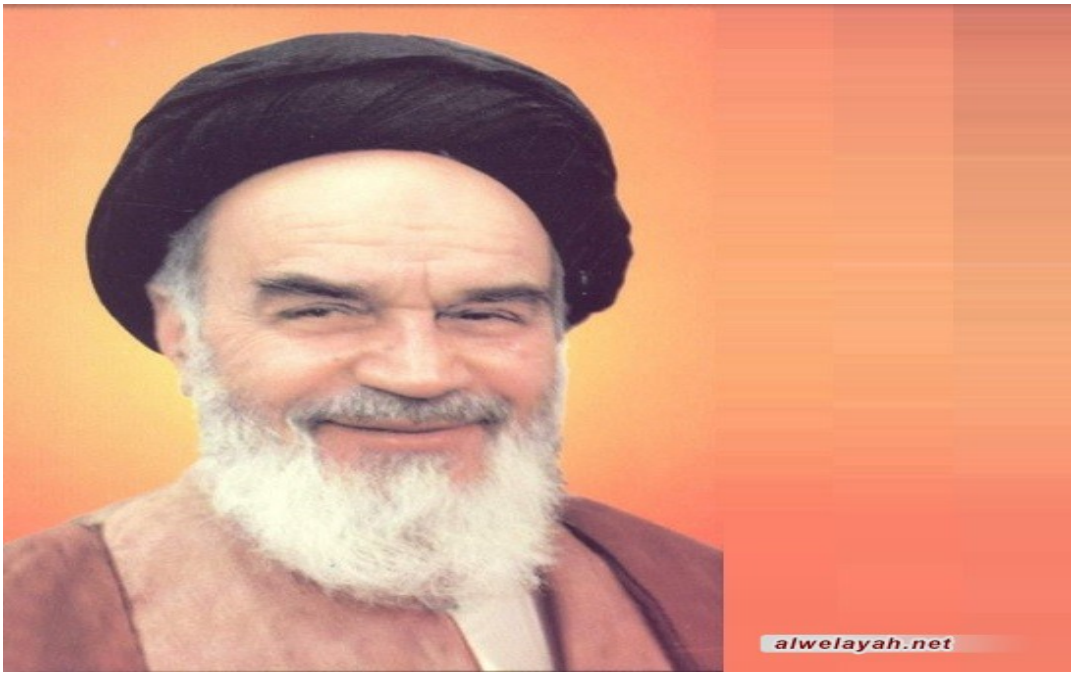

الإمام الخميني الشخصية والمنهج

2008-06-07

تمر علينا هذه الايام الذكرى التاسعة عشر لرحيل مؤسس الجمهورية الاسلامية الايرانية الامام الراحل روح الله الموسوي الخميني وبالمناسبة نتطرق الى شخصية الامام ومنهجه:

ان الحديث عن شخصية الإمام الخميني (قدس) ونهجه هو حديث عن الإسلام الرسالي والتدين الواقعي والشخصية النموذجية التي انعكست فيها كل المقومات العلمية والعملية للإنسان الذي يصدق عليه انه الإيمان الناطق.

وعلى هذا تجلت في شخصيته كل صفات الإنسان المثالي الذي بدأ حياته بالعلم والتقوى والإيمان والعمل الجاد والدؤوب، فلم يخف في الله لومة لائم، ولم تمنعه كل الحواجز المادية والدنيوية عن ان يجسد

الحقائق الأصيلة في الجمهورية الإسلامية بفضل ما اتسمت به هذه الشخصية الفذة، فانعكست هذه الصفات والخصائص على نهجه وخطه، فكان خطا مميزا عن كل التوجهات والاتجاهات التي حكمت عالمنا.

تكتسب دراسة شخصية الإمام الخميني (قدس) والإطلالة على مواصفاتها أهمية خاصة، لكونها تشكل الملاك والمعيار الواقعي للإنسان المستقيم وللشخصية الصالحة. وهنا يمكن الإشارة باختصار الى أهم ما تميزت به شخصيته:

أولا: كان الإمام يمتلك فهما دقيقا عن الإسلام الأصيل، فأدرك منذ البداية ان الإسلام بتعاليمه وقوانينه وتشريعاته قادر على إدارة شؤون المجتمع وتنظيم حياة الأفراد في ظل دولة الإسلام.

لذلك نراه قد فتح أبوابا جديدة في أبحاثه الفقهية مهدت الطريق لجلاء الصورة الحقيقية عن بعض أهم الأهداف والغايات المتوخاة من الشرع، فكان تأسيسه العلمي والعملي لمبدأ "ولاية الفقيه"، وعمل على رفع مستوى فهم الدور السياسي للإسلام. كذلك تحرك (قدس) في اتجاه العبادات الأخرى، فأعطاها أبعادها الحقيقية والواقعية، كما حصل في عبادة الحج، حيث أعطاها الروح الحقيقية التي ترفع الإنسان الى مستوى القرب من ا، وهيأ الظروف لتكون القيادة الدينية بما تحمله من قيم دينية أصيلة هي الأساس والنموذج الذي يجب ان يحتذى به، وبالتالي أعطى للإنسان القدرة الحقيقية في الحضور الواقعي في ساحة العمل الاجتماعي والسياسي.

ثانيا: كان الإمام يتمتع بشجاعة وصلابة وقوة إرادة قل نظيرها، وهذا ما تجلى من خلال مسيرة جهاده قبل الثورة ضد أجهزة الشاه. فكم مرة تعرض للحصار والتضييق والسجن والنفي وما شابه ذلك، إلا ان كل هذه الأعمال لم تهدم عزيمته ولم تثنه عن مواصلة طريق جهاده، وحتى بعد انتصار الثورة وتشكيل الحكومة الإسلامية، نرى الإمام (رض) يواجه العقبات بكل صلابة وإرادة، يأمر باحتلال وكر التجسس الأميركي في السفارة الأميركية رغم ان الثورة كانت لا تزال حديثة الولادة، حيث ان أدنى مغامرة قد تودي بها، لكنه تابع الطريق وواجه أعتى قوة في هذا العالم.

ثالثا: كان الإمام (قده) يمتلك إيمانا مطلقا با تعالى معتمدا عليه في كل مجالات الحياة. هذه الخاصية جعلت منه شخصية ذات سكينة وثبات في مواجهة التحديات، وصقلت نفسه بصفات الزهد والإخلاص، فكان يترفع عن كل شوائب الدنيا وعناوينها، برغم الظروف التي هيئت له، فلم يستهوه الحكم والسلطة والمناصب الدنيوية، ما جعله يترك أثرا كبيرا على نفوس أجيال مجتمعاتنا وحرك فيها البعد المعنوي، فغدا الوعي الديني أحد أهم خصائص عصر الإمام، بعدما أرخت جاهلية هذا القرن بكامل ثقلها المادي

الهدام على مجتمعاتنا.

كان الإمام يمتلك إيمانا كبيرا بقدرة الشعوب الإسلامية على تجسيد الإسلام الحقيقي، هذا إذا ما التزمت بنهج الله تعالى وعملت طبقا لما تقتضيه رسالة السماء. فلو عدنا الى كلمات الإمام (رض) لوجدناه يعلق آمالا كبيرة على الشعوب الإسلامية، لكونها القوة الحقيقية التي يمكنها ان تبدأ بالتغيير والتوجه نحو الأفضل، نحو إقامة دين الله وحكمه.

هذه الخصائص والصفات هي أهم ما يمكن مطالعته في شخصية الإمام، حيث كان لها التأثير الكبير في جلاء صورة نهج الإمام وخطه. أما أهم ما تميز به هذا النهج فهو الارتباط الوثيق والواعي بالله تعالى، والاتكال عليه في جميع الظروف. وهذا الارتباط ليس حالة أخلاقية أو مزاجية، إنما هو إيمان عميق واعتقاد راسخ نابع من صميم الوجود. لهذا نرى الملتزمين بهذا الخط يتجاوزون كل الخصوصيات والمكتسبات الشخصية من أجل إرساء قواعد الدين.

أما السمة الثانية لهذا النهج فهي الاستقلالية وعدم الالتجاء الى الشرق أو الغرب، فكان هذا الشعار هو العنصر الأصيل في خط الإمام (رض)، وكان له عمقه وأصالته ووزنه السياسي في عالم كانت القوتان العظميان تتنافسان فيه.. فما من ثورة إلا وارتمت في واحدة منهما، إلا ان خط الإمام كان يقف بعيدا عن هذه الخطوط التي لا يمكنها ان توصل الثورة الى أهدافها وغاياتها.

ومن خصائص خط الإمام أيضا الواقعية والشمولية، حيث مهدت هذه الخاصية الطريق لطرح الإسلام باعتباره حضارة راقية عملت على إشاعة الوعي والتقدم والصحوة في المجتمع الإسلامي. لقد اهتم الإمام بقضايا العالم الإسلامي وعالجها بواقعية، وكشف عن الخطوط المقابلة لهذا التوجه، فترك تأثيرا كبيرا على الشعوب الإسلامية، فأضحت الثورة محط آمال المستضعفين.

ومما ميز هذا الخط أيضا الثورية والاستمرارية، فأكثر الثورات خمدت بعد ان استقر أصحابها في مناصبهم، لكن الثورة الإسلامية كان لها شأن آخر تجلى في العمل المستمر على ترسيخ قواعد الدين والثورة، ورفض كل ما من شأنه القضاء على القيم الإسلامية. فلم تستخدم الثورة كأداة للوصول الى الحكم، بل كانت مقدمة لبداية عصر جديد تحكمه قيم الإسلام والثورة.

الامام الخميني حالة فريدة في المرجعيات الشيعية والقيادات الإسلامية، فلم يشهد تاريخنا الاسلامي المعاصر شخصية مثله، إمتلكت الشجاعة والاصرار على المواصلة والتحدي رغم كل التحديات والظروف، من

أجل تحقيق هدف الإسلام في إقامة حكم ا في الأرض.

ان انتصار الامام الخميني خلق مرحلة جديدة من الوعي الاسلامي، فقد صنع قدس سره تيارا ثوريا واعيا يواجه القوى الاستكبارية ويجاهد من اجل اقامة حكم ا في الارض، وهو حلم كاد ان يموت في النفوس بعد الاحباطات المتكررة التي تعرضت لها الامة الإسلامية.

قبل الامام الخميني لم يكن مراجع الدين يفكرون باقامة دولة اسلامية عن طريق الثورة، وكانوا يعارضون أي نشاط في هذا الاتجاه.

وقد تعرض الامام نفسه إلى نقد شديد ومضايقات عدة ومحاولات تشويهية من قبل الكلاسيكيين من العلماء والمراجع، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، فإذا الخميني قوة جبارة تقهر وتكتسح، واذا بمدرسته خط متنام يزداد قوة واتساعا.

لقد تعرفت الامة على مرجعها الامام الخميني عن قرب، فليس هناك أي حاجز بينه وبينها، كان معها وهو في ايران، ومعها وهو المنفى، لم تبعده المسافات الجغرافية عنها لانها في قلبه ولانه في قلبها.

هذه العلاقة الرائعة بين المرجع وجماهيره، جعلته لايجد أي مشكلة في طريقه الطويل مهما كانت الصعاب والتحديات، كما جعلت جماهيره لاتجد أي صعوبة في السير وراءه لانها ادركت جيدا انه يسير بها إلى حيث يريد الإسلام.

نستعيد حضور الإمام الخميني وتراثه الفقهي والفكري في ضوء تجربته الغنية في مقارعة الاستكبار والمستكبرين، لنقرر ان مؤثرات مدرسته السياسية لا تزال مزدهرة في ركائز الانتفاضة في فلسطين، ومقومات المقاومة الإسلامية في لبنان، وبمراجعة نهج الإمام الراحل في بلورة مفهوم المقاومة قرآنيا نجده رضوان ا عليه ينطلق من غرساتها الأولى داخل مقاومة النفس ومغالبتها وتطويعها بالجهاد الأكبر، لتطمئن إلى فردوس الطمأنينة وسلام المؤمن مع ذاته.

ان انتصار الثورة الإسلامية على الأرض الإيرانية كان انتصارا نسبيا على غطرسة الاستكبار ومكائده، وكان بإمكان هذا الانتصار ان يتقدم أكثر نحو مشروع نهضوي إسلامي على مستوى الأمة كلها لولا بعض الأخطاء التي اقترفناها، وفي طليعتها تبادل الاتهامات المجانية والتنابذ بالتخوين والتخوين المضاد، ولا داعي في وصف مشهدنا الإسلامي المتعارض المتناقض المتآكل المتحارب المنتحر، قاتلا وقتيلا.

من جهة اخرى، لازالت الشخصيات العلمية والسياسية والثقافية الروسية تولي اهتماما خاصا برسالة الامام الخميني)(رض) الى زعماء الاتحاد السوفيتي السابق وتصفها بالخالدة والسرمدية.

ففي هذا الاطار وصف وزير دفاع الاتحاد السوفيتي السابق الجنرال ديميتري يازوف رسالة الامام الخميني (رض) الى غورباتشوف بانها وثيقة ورسالة نابعة من الشفقة تزخر بالنصائح والحكم والتاريخية، حذر فيها قادة الاتحاد السوفيتي من المخاطر التي تحيط بهم وذلك من منطلق دركه العميق والواعي للواقع السوفيتي.

واضاف يازوف: ان الامام الخميني (رض) ومن منطلق دركه العميق للسياسات الامبريالية اراد للحيلولة دون سوق العالم نحو الاحادية ولذلك دعا قادة الاتحاد السوفيتي عدم الوقوع في شرك الرأسمالية الغربية وان مواصلة الاصلاحات بالاتكال على الشعب والعودة الى الرب.

من جهته قال رئيس مجلس الافتاء الروسي راويل عين الدين في لقائه الاخير مع الهيئة البرلمانية للجمهورية الاسلامية الايرانية في موسكو قال: ان ميخائيل غورباتشوف اعترف بعظمة هذه الرسالة وعظمة شخصية الامام الخميني (رض) واعلن ان الرسالة تحظى بمفاهيم عميقة وفلسفية وانها هزت مشاعري لكن للاسف في ذلك الحين لم نتمكن من تلبية هذا النداء. واكد عين الدين خلود رسالة الامام الخميني (رض) قائلا: بعد فترة وجيزة شاهدنا انهيار الاتحاد السوفيتي وانقسامه الى عدة بلدان مستقلة وتوجهت شعوب هذه البلدان الى الدين وان رؤساء هذه الدول قاموا بانشاء المساجد والكنائس والاهتمام بالمعنوية وعبادة الرب.

وقد تحدث الكثير من المفكرين والكتاب والفلاسفة في فكر الامام الخميني حيث قال فيه الامام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية في إيران: "نهج الإمام الخميني هو نهج الأنبياء الذي قام على أساس الصبر والمقاومة والاستعانة با سبحانه وتعالى للتغلب على المصاعب والضغوط".

وقال محمد حسنين هيكل الصحافي المصري المعروف: "الخميني رصاصة انطلقت من القرن السابع الميلادي، لتستقر في قلب القرن العشرين".

وقال سليمان كتاني الكاتب اللبناني المعروف: "قطب عظيم، لم ينبض مشرقنا الأوسطي بمثيل له منذ عهد طويل".

وفي الختام نقف بكل خضوع أمام شخصية الإمام الخميني (رض) العظيمة، لنلاحظ فيه شخصية أقل ما يقال فيها انها أعادت للإسلام والدين والإنسان قيمته واعتباره، فأضحى النموذج والمقتدى.